

الشباب و العمل - دراسة سوسيولوجية -

بن كروم زواوي

باحث دائم بالمركز الوطني للأبحاث

في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (Crasc)

الملخص:

في هذا المقال نستعرض واقع الشباب وكيفية انخراطه في العمل، وركز المقال على مسألة السن في سوسيولوجيا الشباب، وعلى الشغل والمهن والعمل، وخلص إلى أن الناس - بصفة عامة - يتفاوتون عقلا ورأيا وفي اختيار ما يناسبهم، ويتفق مع رغبتهم. لذلك فإن العمل يكون من خلال الجهد الإرادي العضلي، أو العقلي مقابل أجر أو راتب معين، فعمل الإنسان ينطلق من رغبة ذاتية وإرادة عقلانية تدفع صاحبها إلى بذل الجهود الخلاقة لخدمة المجتمع وتحقيق أهدافه.

الكلمات المفتاحية: الشباب، العمل، سوسيولوجيا، الجهد، الثقافة.

مقدمة:

جيل الشباب هو أساس العالم العربي في صراعه المصيري والمستقبل أفضل، فتاريخ العالم العربي شاهد على طلائع الشباب المتقدمة في ثورتها على التبعية من خلال تحديث البلاد ومن خلال حركات الاستقلال ضد الاستعمار. فالشباب يمثل الأمل للأمم، وينظر المجتمع للشباب بانشغال لحد القلق حيث يصبح الفرد غير مستقر غير ممكن التنبؤ لتصرفاته الغير قابلة للانصياع، والذي يتعامل بحساسية وعناد مع الكبار، وتحمل هذه المرحلة مجموعة من متناقضات يكون فيها قادرا على العمل وبذل الجهد، لكنه لا يشغل أدوار الكبار ولا أية أدوار إنتاجية رغم الطاقة الهائلة على العمل.

الكثير من المجتمعات البدائية يمر فيها المراهقون بطقوس لتحمل مسؤوليات الكبار والاستمتاع بامتيازاتهم، وتحقيق مسؤوليات الإنتاج والحرب وغيرها، مما يتيح لهم إشباع حاجاتهم الأساسية من مراكز اجتماعية واستقلال والعمل المنتج.

أما المجتمعات الحديثة المعقدة فانتقال الفرد لمرحلة الرشد تكون فيها معاناة ومشكلات تتطلب إتقان مهارات متخصصة دقيقة، بعد فترة طويلة يتم النضج جسديا وعقليا وجنسيا، ولا يسمح له بإشباع حاجاته ولا يتحمل مسؤوليات الكبار والتمتع بامتيازاتهم.

ظلت لفظة الشباب لمدة طويلة في المجتمعات التقليدية تتوافق مع زمن المراهقة؛ إذ امتدت إلى فترة وجيزة نسبيا وعلى وجه الخصوص، كانت محددة بطقوس ابتدائية تحدد حقوقها وواجباتها وتضع معالم للخروج منها⁽¹⁾.

ولم تتوقف فترة الشباب عن التزايد في المجتمعات المعاصرة خصوصا ابتداء من سنوات الخمسينات في الولايات المتحدة وفي أوروبا وفيما هو مهم، فإن هذا الطول مرتبط بالدخول المتأخر أكثر فأكثر في الحياة النشطة وتكوين أسرة مثل فرنسا المعاصرة، وزادت بطالة الشباب في هذا التمدد لمرحلة الشباب الذي قلب الرزنامة التقليدية للحياة، وإن جزء من مرحلة الشباب ارتبط بالعصرنة إذا تتبعنا الأعمال المؤسسة لعلماء الاجتماع الأمريكيين في سنوات الخمسينات، بإمكاننا تمييزها بملحين كبيرين.

الأول هو الفوضى النسبية: الشباب ليس هو لا الطفولة ولا عمر المراهقة، ولا هو التبعية ولا هو الاستقلالية. إنه زمن تأجيل الدفع وتجريب بعض الحرية، اللائقين هو أيضا متزايد بسبب ضعف الرقابة الاجتماعية وطقوس الابتداء. ومن جهة معينة يعد زمن الشباب غامض نسبيا، لكن من جهة أخرى، وبالمعنى النقيض هو أيضا زمن الإرغام على الاستثمار في المستقبل بحيث أن المكانة تكتسب أكثر من أن تورث، يتوجب على الشباب أن يلتزموا بالدراسة والتكوينات المهنية بغية بلوغ مكانة الرشد، في حاضرهم⁽²⁾.

من وجهة النظر هذه، فالتجربة الشبابية هي شديدة الارتباط بالمدرسة التي توزع الإرث المحتمل للأفراد. إذن الشباب هو محكوم بحرية الفترة وضرورة الارتقاء في أحضان المستقبل؛ ومع ذلك، فإذا كان الشباب يقدم ملامح متجانسة، فإن لدينا من الشباب بقدر ما لدينا من الظروف الاجتماعية والمدرسية.

1- مسألة السن في سوسيولوجيا الشباب:

إن إحصاء استعمالات الشباب المتبينة يقودنا إلى تحديد خمس مصادر لهذا المفهوم، ما معنى أن تكون شاباً وفقاً للتصور الشعبي والحديث العامي؟ الشباب كإبداع ثقافي، الشباب كقوة اجتماعية، والشباب كشريحة اجتماعية⁽³⁾، والدخول في حياة الكبار (البلوغ) هو اجتياز المراحل الاجتماعية المرتبطة بالأدوار الاجتماعية، هناك ثلاث مراحل رئيسية وهي الرحيل من الأسرة الأصلية، الدخول في الحياة المهنية، وتشكيل زوجين⁽⁴⁾.

فمرحلة الشباب صعبة التحديد وهي تختلف من فرد لآخر، من جنس إلى جنس، ومن ثقافة إلى ثقافة وتكون هذه الفروق من خلال المعايير التي يركز عليها الدارسون المختلفون⁽⁵⁾، فالشباب ينتظر ضمان نوع من المستقبل الذي يؤهلهم إلى العيش في رفاهية، وبالتالي يسعى إلى الحصول على نوع من التكوين المساعد على ضمان ذلك المستقبل من خلال اقتحام سوق العمل. والأسرة تنظر عموماً إلى الشباب من زاوية السن، وقلة التجربة في الحياة ومحدودية الإدراك والتفكير، وعدم الاتزان فيما يخص توجيهات المجتمع وقيمه⁽⁶⁾.

2- العمر:

نقصد به مدة الحياة التي يعبر عنها بعدد السنوات التي مرت منذ الولادة، والفئة العمرية⁽⁷⁾، العمر هو أحد الأبعاد الثلاثة (مع تواريخ الرزنامة، الجيل أو الجماعة) التي تسمح بمعاينة الأحداث الديموغرافية في الزمن وتحليل السكان بحسب الفئة العمرية هو إذاً متغيراً أساسياً في كل الدراسات المتعلقة بالسكان، سواء تعلق الأمر بالإنتاج، تشكيل اتحادات، هجرات،

الوفيات. لقد أصبح تحديد العمر كمعيار للتصنيف معبر عنه بعدد السنوات التامة (العمر الذي بلغه الشخص في آخر عيد ميلاد له)، أو بتاريخ الميلاد ممكنًا بفضل الامتداد التدريجي للسجلات الكاهنوتية، ثم الحالة المدنية في أوروبا ابتداء من القرن 14 وبفضل التنظيم الدوري للتعدادات.

يتوقف قياس الزمن وفكرة العمر على الممارسات الاجتماعية، الثقافية والإدارية التي تتغير حسب العصور والحضارات. كذلك في العديد من البلدان الآسيوية (الصين، كوريا، إلخ.)، يستعملون التقويم القمري المبني على دورة متكونة من 12 عامًا. وبمجرد الولادة، يعتبر بأن الطفل لديه سنة من العمر لأن مدة الحمل تعتبر عام من الحياة، لا يمكن الحصول على معطيات متعلقة بالعمر عند القيام بمسح في هذه البلدان إلا إذا طُلب من الأشخاص المستجوبين تواريخ ميلادهم حسب التقويم القمري أو الغربي. وفي المجتمعات الحديثة يتم تذكير الأفراد بالاستمرار بعمر الحالة المدنية عن طريق الأعراف الإدارية، المعايير القانونية، أعياد الميلاد، إلخ. يختلف العمر المقاس عن التصور الاجتماعي للفئات العمرية (شباب، راشدين، شيوخ) التي تتطور اصطلاحاتًا وتحدياتها حسب علاقات القوة بين الجماعات الاجتماعية والأجيال بمهدف اقتحام بعض المراتب في السلطة أو تعديل شروط الدخول أو الخروج من الحياة العملية، توزيع الثروات أو الامتيازات. و بما أن عامل الشباب يعتبر عنصر مهم في أي مجتمع فهو دوماً يبحث عن الاستقرار من خلال تحقيق مكانة اجتماعية تسمح لهم بالعيش بكل كرامة و رفاة و هذا يكون من خلال اندماج الشباب في سوق العمل ولهذا عالجنا مفهوم العمل من خلال دراسات نظرية مختلفة و ذلك لارتباطه الوثيق بفئة الشباب. و في مجال العمل فإنه ليس تاريخ ثابت⁽⁸⁾ إن أمعنا النظر حيث كان أساس علاقات اجتماعية، وكان ينظر للعمل بالسلبية في مرحلة ما قبل الصناعية بأوروبا، وكما نعلم فإن العمل يبقى هو أساس البناء الاجتماعي. ويبقى الاقتصاديين المختصين في هذا المجال يقومون بتحليل العمل من خلال سير أسواق العمل⁽⁹⁾، والعوامل المحددة لعرض العمل للفئة النشطة بمعنى العوامل

الديمقراطية، كما أن الماكرو-اقتصاديين يدرسون عكس ذلك، فهم يحاولون فهم التداخلات التي تلعب دور مهيمن لأجل تحديد طلب العمل. وبالنسبة لماركس وريكاردو وهم منظرين إنجليزين⁽¹⁰⁾ (Marx et Ricardo 1772-1823) فإن المفاضل والعامل على حد سواء يضعون في الأسواق الرأسمال من جهة و من جهة أخرى قوة العمل.

3- الشغل

أولاً: يدل الشغل بمعناه المحدد⁽¹¹⁾ (job بالإنجليزية) على الوضعية التي يكون فيها الشخص، بحيث يتبادل فيها وقت العمل مقابل دخل (أجر ومزايا مختلفة مرتبطة بالخصائص الشخصية، والممارسات الاجتماعية السارية المفعول في البلد والمهن المعتمدة) مع رب عمله (مجتمع، دولة، جماعات قطاعية، جمعيات، خواص، إلخ)، أو حيث يقوم هذا الشخص بتبادل السلع أو الخدمات التي أنتجها شخصياً. يتم التمييز بين الأعمال المأجورة ذات الأوقات التامة والأعمال المأجورة ذات الأوقات الجزئية، التي يتزايد عددها مع نمو البطالة. وحتى طبيعة عقد العمل مهمة : عقد بمدة غير محددة أو عقد بمدة محددة، أو كذلك عقد الوكالة حيث منذ 1974 تضاعفت أشكال هذا العمل المؤقت.

ثانياً: يدل الشغل بمعناه غير المحدد على كمية الأعمال، أي كمية العمل البشري المنجز والمأجور فعلياً في نظام اقتصادي ما.

4- المهنة:

الكلمة تعني تدرج الفرد في حياته المهنية،⁽¹²⁾ في اتجاه إيجابي في أغلب الأحيان. يشكل تحليل المهن كمسارات مرتبطة بتنظيم معين للنشاط المهني، بسياقات اجتماعية وباستراتيجيات فردية أو جماعية أحد مواضيع علم اجتماع المهن.

لكن مفهوم الكلمة يرجع إلى المختصين في التفاعل، أخذوا من الاستعمال المتداول البعد التاريخي وفكرتي المراحل والعتبات، أي تسلسل المراحل، لكن أضافوا إليه دلالة أن هذا التسلسل هو مأمول من طرف الفرد،

لكون هذه الدلالة هي أصلاً مكونة اجتماعياً. تفيد إذاً المهنة في التعرف والوصف، في ظل سياق معين، سيرورة ذاتية للتحويل، وعلى سبيل المثال، في العلاقة بالنشاط المهني، الانتقال من التصور المثالي الأولي للمهنة إلى التصور الأكثر واقعية. بهذا التعريف المعطى للمصطلح، فإن هذا الأخير لا يقتصر بالضرورة على الحياة المهنية، يمكن أن ينطبق على تجارب بيوغرافية أخرى تدخل في زمانية وتتضمن تطور ذو دلالة، مثل تجربة الحياة الزوجية أو حتى تجربة مرض مزمن.

5- العمل: (travail/labour, Labor)

إن مفهوم العمل اختلف عبر العصور، حيث كان عند الإغريق هو العمل اليدوي، وكانت مهنة محترقة تخص العبيد في المجتمع الاغريق¹ وكان العمل يعني الجهد العضلي أو الجسدي والذي يتعلق بالأعمال الشاقة، وأكد أرسطو على أن يكون العمل اليدوي مخصص للعبيد، وقسم أفلاطون السكان إلى أربع فئات من خلال كتابه "الجمهورية":

الحكماء وأصحاب الفكر القائمين بسياسة الدولة، والحاربون الذين يدافعون عن الدولة، والحرفيون الذين ينتجون الوسائل والأدوات، والعمال. إن العمل اليدوي يبقى عمل ليس لديه قيمة وهو عمل مزري عند الفلاسفة اليونانيين، والذين يعتبرون أن فقط النشاط الفكري الفلسفي هو وحده الذي يعطى له قيمة. وفيما يخص العرب فإن للعمل له قيمة كبيرة، ويرى ابن خلدون أن العمل يكون مصدر القيم والمنافع الاقتصادية والحرفية والصناعية، وكان العمل عند العرب مقتصر على العمل اليدوي "الحرف، التجارة، الصناعة والزراعة" إلى جانب الجهد الفكري.

يرى البعض الآخر أن هناك عمل غير المنتج مثل الفيزوقراطيين⁽¹³⁾ لذين يعتبرون أن العمل الصناعي والتجاري هو غير منتج، بينما يبقى في اعتقادهم أن العمل الفلاحي الزراعي هو المنتج، وكان مفهوم العمل عند

المفكرين القدماء يقوم فقط على العمل الذي ينتج سلعا ومنافع مادية دون الأعمال الفكرية. ومع العصور تطور مفهوم العمل وأصبح يحوي عنصرين: الأول يكون في الامكانيات الجسدية والفكرية والمهارة الذي يتوفر عليها الانسان لأجل القيام بنشاط منتج لسلعة أو سد حاجة معينة، والثاني يكون نشاطا هادفا. فالعمل في الاقتصاد هو الجهد الجسدي أو العقلي أو معا، يقوم به فرد لأجل بلوغ غاية (ويكون العمل مادي أو غير مادي أو هما معا، وهو لا يكون لأجل التسلية " فالعمل هو الوظيفة التي يقوم بها الانسان بقواه الجسدية والخلقية لإنتاج الثروات والخدمات". وإذا تعمقنا في مصطلح العمل فإنه يفتح مجالات عدة منها أسواق العمل، تنظيم المهام ومؤهلات العاملين، البطالين، الدخول لعالم الشغل، أشكال العمل، كما فقد العمل مركزيته، وإذا رجعنا للعالم الغربي فإن التصنيع قد أدخل فيه تغييرات على واقعه من بينها علاقات العمل، وكانت الثورة الصناعية الأولى خلال القرن التاسع عشر لها عامل رئيسي في تأسيس نظام الأجور، بحيث أصبحت تعتمد بشكل كبير على العمل المأجور وعلى عمل المرأة والأطفال. وكما نعلم أن العمل المأجور كان محتقرا في أوروبا ما قبل الصناعية، والعمل يكون ويتواجد ويتجسد في المجتمع الذي يتحقق فيه⁽¹⁴⁾، كما أن مفردة " ترياليوم" (tripalium) والتي تعني عذّب أعطت للعمل مع مرور الوقت صبغة أخرى أكثر أهمية، حيث أصبح يمثل العمل أساس الحياة المجتمعية المعاصرة⁽¹⁵⁾، وهو المنبع الرئيسي للدخل والمكانة الاجتماعية.

الخلاصة:

لقد كانت المجتمعات التقليدية بنمط تربيتها العفوية والتي كانت أساسا قائمة على الأسرة، حيث اعتبرت كمؤسسة اجتماعية مركزية استطاعت القيام بتأهيل الشباب واحتوائهم وادماجهم في النسق المجتمعي العام، وذلك عبر المؤسسة الزوجية مما يتيح لهم الانخراط المبكر في العمل الانتاجي، وتبقى المجتمعات المعاصرة نظرا لتعقد بنيتها، و أيضا لما عرفته من تطور حضاري وتراكم في المعارف والخبرات والتجارب، مما ارتفعت فيها درجة

التخصص الوظيفي هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يبقى العمل هو حق وواجب على كل إنسان في هذه الأرض، فأبواب الرزق في هذه الحياة هي كثيرة ومتنوعة، منها الصناعة والتجارة، الزراعة وغيرها، بحيث يحاول من خلالها الفرد تحقيق رزقه و تلبية حاجاته، كما يميل الإنسان للقيام ببعض المهن حيث يكون قد وجد في نفسه ميلا وارتياحا، ويرى بأن لديه القابلية والقدرة على ممارسة العمل.

وكما هو معلوم فإن الناس بصفة عامة يتفاوتون عقلا ورأيا وفي اختيار ما يناسبهم ويتفق مع رغبتهم. فإن العمل يكون من خلال الجهد الإرادي العضلي أو العقلي مقابل أجر أو راتب معين، فعمل الإنسان ينطلق من رغبة ذاتية وإرادة عقلانية تدفع صاحبها إلى بذل الجهود الخلاقة لخدمة المجتمع وتحقيق أهدافه.

الهوامش:

- (1) François DUBET, dictionnaire de la sociologie, sous la direction d'André Akoun et Pierre Ansart, le Robert seuil 1999 page 298.
- (2) François DUBET, Ibid. Page 298.
- (3) مجاهدي مصطفى، مفهوم الشباب، في مشروع بحث حول الشباب والمجتمع في الجزائر: واقع وممارسات، تحت إشراف الأستاذ مولاي الحاج مراد، مركز الأبحاث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية CRASC، 2007 ص7.
- (4) Galland Olivier, sociologie de la jeunesse, Armand Colin/Masson, Paris, 1997 cité par Medjahdi Mustapha, chercheur au CRASC, projet de recherche sous la direction de Moulay Hadj Mourad, 2007 page 7.
- (5) عزت حجازي، الشباب العربي ومشكلاته، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، إشراف مشاري العدواني، 1923-1990، ص28.
- (6) عيسى بوزغينة، قطاع الشباب واقع وآفاق، إنجاز دار أرشيفة سحب، مطبعة الرهان الرياضي الجزائري، الطبعة الأولى 2003، ص 13.

- (7) Léon GANI, dictionnaire de sociologie, Opcit. Page 13.
- (8) Mona Josée Gagnon « le travail une mutation en forme de paradoxes, Sainte-Marie (Beauce), Québec, Canada, 1996 page 15-16.
- (9) Philippe d'Iribarne, économie en liberté, presse universitaire de France, Paris 1^{ère} édition.
- (10) Denis Segrestin, « sociologie de l'entreprise, Armand colin éditeur, Paris, 1992, page 30.
- (11) Jean-Pierre DURAND, dictionnaire de sociologie, Opcit. Page 180-181.
- (12) Monique HIRSHHORN, Ibid. Page 63
- (13) موسوعة علم الاجتماع، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة الجزائر، 2010، ص 314.
- (14) Sabine Erbès-Seguin « la sociologie u travail », édition la découverte, 1999, page 121.
- (15) François Vatin, le travail et ses valeurs, édition Albin Michel, Paris 2008, page 18-19.